

الاختلاف في ذي الحال بين الرفع والنصب

في القرآن الكريم

مديحة صادق*

التمهيد:

إن القرآن الكريم برهان ساطع ومنبع صاف هداية الناس، فهو كتاب الله العزيز الذي ينير عقل الإنسان ويضيء مسيرته حياته بكلماته ومعانيه، وأسلوبه، وانسجام عباراته ونصه، وأمثله ودلالته المتنوعة. وهو البحر الزاخر الذي يدعو الإنسان إلى التدبر والتفكير والتعقل ليصل إلى الهدف المنشود. وهذا المقال جاء امتثالاً لهذا الطلب حيث يتناول الاختلاف في ذي الحال بين الرفع والنصب ويبرز تأثيره الدلالي في رحاب القرآن الكريم، فالمقال مهم لإبراز أهمية هذه القضية النحوية التي تكشف أن الآية الواحدة تشتمل على معانٍ بليغة فصيحة متنوعة دلالة على إعجاز القرآن الكريم، وبذلك يساهم في إبراز المدلولات القرآنية وفهمها فهماً صائباً دقيقاً.

يتضمن هذا المقال تمهيداً موجزاً عن الحال وصاحبها، وثلاثة مباحث: المبحث الأول عن الاختلاف في ذي الحال للحال المفردة، والمبحث الثاني عن الاختلاف في ذي الحال للحال الجملة، والثالث عن الاختلاف في ذي الحال للحال شبه الجملة.

الحال لغةً:

يقال: حال الشيء يحول حولاً إذا تغير عن حاله، وحال فلان عن عهده أي زال عنه. والدهر قد وصف به لتقلبه وتحوله^(١). والحال الوقت الذي أنت فيه والواحدة حالة. يجوز فيها التذكير والتأنيث لفظاً ومعناً، قيل:

* محاضرة، كلية اللغة العربية، الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد، باكستان.

١- انظر: ابن دريد محمد بن الحسن، جوهرة اللغة، المحقق: رمزي منير البعلبكي، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧م)

ط١، باب الحاء واللام مع ما بعدهما من الحروف (ح ل و)، ج١، ص٥٧٠ و٥٧١.

حال فلان حسنة وحسن، وجمع على أحوال وحالات^(٣).

الحال اصطلاحاً:

تتعدد تعريفات الحال حيث عرفه ابن السراج بقوله: "هي هيئة الفاعل أو المفعول أو صفته في وقت ذلك الفعل المخير به عنه"^(٤). ونظمه ابن مالك في ألفيته:

"الحالُ وصفٌ فضلةٌ منتصبٌ مُفهِمٌ في حالٍ كفرداً أذهب"^(٥)

وهذا ما ذهب إليه أستاذ عباس حسن في تعريفه للحال حيث يقول إنه: "وصف، منصوب، فضلة، يبين هيئة ما قبله؛ من فاعل، أو مفعول به، أو منهما معاً، أو من غيرهما وقت وقوع الفعل"^(٦). ويفهم من هذه التعريفات المتقاربة أن الحال اسم نكرة تصف صاحبها المعرفة أثناء وقوع الفعل، وهو ما يسمى "ذا الحال" ويكون من فاعل أو مفعول أو من غيرهما، وتأتي الحال بعد تمام الجملة كما تصلح أن تقع في جواب كيف^(٧). وعاملها قد يكون فعلاً، مثل "حضرت مسرورا" أو شبه الفعل من الصفات المشتقة، كاسم الفاعل واسم المفعول وغير ذلك مثل "محمد منطلق مسرعاً"، أو معنى فعلك الإشارة والتمني ونحوهما مثل "هذه أختي قادمة" يعني "أشير"، والفعل يعمل في الحال متقدماً ومتأخراً ولا يعمل فيها شبه الفعل إلا متقدماً. ولا يجوز تقديم الحال على صاحبها المجرور نحو "مررت راكبا بمحمد"^(٨). للحال عدة أقسام باعتبارات مختلفة منها: الحال المقارنة التي توافق زمان وقوع الفعل مثل "ذهبت ماشياً"، والمقدرة التي توضّح وقوع عاملها في المستقبل مثل: ﴿وَرَبُّهُ، مَا يَقُولُ وَيَأْتِنَا فَردًا﴾^(٩)، والحال المؤسسة التي لا يستفاد

- ٢- انظر: محمد بن أحمد الأزهرى، تهذيب اللغة، المحقق: محمد عوض مرعب، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م) ط١، باب الحاء واللام، ج ٥، ص ١٥٨، وخالد بن عبد الله الجرجاوي، شرح التصريح على التوضيح، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م) ط١، ج ١، ص ٥٦٩.
- ٣- ابن السراج محمد بن السري، الأصول في النحو، المحقق: عبد الحسين الفتلي، (بيروت: مؤسسة الرسالة، بدون التاريخ والطبع) ج ١، ص ٢١٣.
- ٤- محمد بن عبد الله ابن مالك الطائي، ألفية ابن مالك، (مصر: دار التعاون، بدون التاريخ والطبع)، ص ٣٢.
- ٥- عباس حسن، النحو الوافي، (مصر: دار المعارف، بدون التاريخ)، ط ١٥، ج ٢، ص ٣٦٣ و٣٦٤.
- ٦- انظر: محمد عيد، النحو المصفى، (مصر: مكتبة الشباب، بدون التاريخ والطبع)، ص ٤٥٥.
- ٧- انظر: محمود بن عمرو الزمخشري، المفصل في صنعة الإعراب، المحقق: د. علي بو ملحم، (بيروت: مكتبة الهلال، ١٩٩٣م) ط ١، ص ٩٠، ومصطفى بن محمد الغلابي، جامع الدروس العربية، (بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٩٣م)، ط ٢٨، ج ٣، ص ٩٢-٩٤.
- ٨- سورة مريم، الآية: ٨٠.

معناها بغيرها مثل: "عملت منفردا"، والمؤكد التي يستفاد معناها بغيرها مثل: "تبسّمت ضاحكا"، والحال المفردة التي لا تكون جملة ولا شبهها، والحال الجملة مثل: "ذهب محمد يركض"، والحال شبه الجملة مثل: "وجدت الأم بين الأولاد"^(٩) ولا يتسع المقال لذكر مسائل هذا الباب التي وردت مفصلة في كتب النحو.

ذو الحال:

"هو الاسم الذي وصفته الحال"^(١٠) أي وضّحت الحال هيئته وبيّنت كيفيته فتكون صفة له في المعنى"^(١١). ويسمى "صاحب الحال". والأصل في ذي الحال أن يتقدم على الحال، وأن يكون من المعارف لكونه مخبرا عنه، وقد يأتي نكرة بمسوغ من مسوغات الابتداء بها، نحو مجيء ذي الحال نكرة عامة في سياق النفي أو الاستفهام، مثل "أجاءك أحد راكبا؟"، وكونه مخصصا بالوصف أو بالإضافة مثل: "استغفرَ الله كلُّ رجلٍ مسلمٍ باكيا" وغير ذلك، ومجيئه نكرة بلا مسوغ قليل في اللغة"^(١٢). ومن مواقع ذي الحال النحوية أنه قد يكون من المرفوعات؛ وذلك كمجيئه فاعلا، مثل: "جاء الأمير غاضبا"، أو نائب فاعل، مثل: "أمسك السَّارقُ خائفا"، أو مبتدأ، مثل: "هذا أبوك عطوفا"، أو خبرا مثل: "هذا الأستاذ مقبلا"، كما يشمل أن يكون من المنصوبات؛ وذلك وقوعه مفعولا به مثل "قرأت المقال مطبوعا"، أو مفعولا مطلقا مثل: "قرأت القراءة واضحة"، أو مفعولا فيه مثل: "أسير الليل باردا"، أو مفعولا معه مثل: "سر والبحر هادئا"، أو مفعولا لأجله مثل: "تصدّقي حب الرحمة خالصا"، كما يمكن أن يكون من المجرورات؛ كأن يكون مجرورا بحرف جر مثل: "آمنت بالرسول نبيا"، أو مضافا إليه مثل: "أعجبتني كلمتك خطيبا"^(١٣) وخلال دراستي أساليب ذي الحال النحوية في القرآن الكريم لاحظت، أنه ورد كثيرا في موقع الفاعل والمفعول، ومن ثم تعدد الشواهد التي يختلف فيها ذو الحال بين الرفع والنصب، وترتب عليه تنوع جلي في معنى الذكر

٩- انظر: محمد عيد، النحو المصفي، ص ٤٦٠-٤٧١.

١٠- انظر: المصدر السابق، ص ٤٥٦.

١١- انظر: مصطفى بن محمد الغلاييني، جامع الدروس العربية، ج ٣، ص ٨٧.

١٢- انظر: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، المحقق: عبد الحميد هندواوي، (مصر: المكتبة التوفيقية، بدون التاريخ والطبع)، ج ٢، ص ٣٠٣، وعلي بن محمد الشافعي الأشموني، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م)، ط ١، ج ٢، ص ١٤.

١٣- انظر: الأفغاني سعيد بن محمد، الموجز في قواعد اللغة العربية، (بيروت: دار الفكر، ٢٠٠٣م، بدون الطبع) ص ٢٩٦.

الحكيم. وقد تناول هذا المقال الشواهد حسب ورودها للحال المفردة والجملة وشبه الجملة.

المبحث الأول: الاختلاف في ذي الحال بين الرفع والنصب للحال المفردة:

هذا المبحث يتضمن الاختلاف في ذي الحال بين الرفع والنصب للحال المفردة وهي التي ليست

جملة، ولا شبه الجملة وشواهده فيما يلي: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾^(١١). الشاهد في الآية " وَحِيدًا" منصوب على الحال وورد الاختلاف في صاحبها وفيه أوجه، أحدها: أنه حال من الياء في "ذَرْنِي". الثاني: أنه حال من التاء في "خَلَقْتُ". الثالث: أنه حال من "مَنْ". الرابع: أنه حال من العائد المحذوف أي: خلقتة وحيداً^(١٢). والوحيد: "المنفرد عن غيره في مكان أو حال مما يدل عليه سياق الكلام، أو شهرة أو قصة، وهو فعيل من وَحَدَ من باب كَرَّمَ وَعَلَّمَ، إذا انفرد"^(١٣). وتأثير اختلاف صاحبها في المعنى ما يلي:

القول الأول: "وَحِيدًا" منصوب على الحال من الياء في "ذَرْنِي" وهو ضمير المفعول^(١٤). ويكون

المعنى على هذا القول: "اصبر- أيها الرسول الكريم- على ما يقوله عدوك فيك من كذب وبهتان، وذرنى وحدي معه، فأنا أكفيك في الانتقام منه"^(١٥) فأنا أهلكه لا أحتاج إلى ناصر في إهلاكه^(١٦) أي: " لا تهتم

١٤ - سورة المدثر، الآية: ١١.

١٥ - انظر: محمود بن عبد الله الألويسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المحقق: علي عبد الباري عطية، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٥م)، ط ١، ج ١٥، ص ١٣٥، وأحمد بن يوسف بن عبد الدائم السمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط، (دمشق: دار القلم، بدون التاريخ والطبع)، ج ١٠، ص ٥٤٢، وأبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، التبيان في إعراب القرآن، المحقق: علي محمد البجاوي، (مصر: عيسى البابي الحلبي وشركاه، بدون التاريخ والطبع)، ج ٢، ص ١٢٥٠، ومحبي الدين درويش، إعراب القرآن وبيانه، (سورية: دار الإرشاد للشؤون الجامعية، ١٤١٥ هـ)، ط ١، ج ١٠، ص ٢٧٧.

١٦ - ابن عاشور محمد الطاهر بن محمد، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، (التحرير والتنوير)، (تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م)، بدون الطبع، ج ٢٩، ص ٣٠٤.

١٧ - انظر: أبو البقاء العكبري، التبيان في إعراب القرآن، ج ٢، ص ١٢٥٠، ومحبي الدين درويش، إعراب القرآن وبيانه، ج ١٠، ص ٢٧٧.

١٨ - انظر: محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، (القاهرة: دار نهضة مصر، بدون التاريخ)، ط ١، ج ١٥، ص ١٧٧، والسمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ج ١٠، ص ٥٤٢.

١٩ - انظر: أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: محمد جميل صدقي، (بيروت: دار الفكر، ١٩٩٩م)، بدون الطبع، ج ١٠، ص ٣٢٨.

بشأنهم، ولا تحتفل، فإنّي أكفّيك أمرهم وأغنيك في الانتقام عن كل منتقم" (٣٠).

القول الثاني: " وَحِيدًا " منصوب على الحال من التاء في " حَلَقْتُ " وهو ضمير الفاعل. ويكون المعنى على هذا القول: " خلقته وحدي لم يشركني في خلقه أحد، فأنا أملكه " (٣١) أي: " إنّي خلقته وحدي لم يشاركني في خلقي إياه أحد " (٣٢). وعلى هذا يكون وحيدا من صفة الله عزوجل حيث لم يشركه في الخلق أحد (٣٣).

وخلاصة القولين الأول والثاني أن " وَحِيدًا " حال من الله عز وجل على معنيين، أحدهما: الله سبحانه تعالى وحده يجزي النبي الكريم في الانتقام له عن كل منتقم. والثاني: خلق الله وحده لم يشركه في خلقه أحد (٣٤).

القول الثالث: " وَحِيدًا " منصوب على الحال من " مَنْ " وهو اسم موصول في محل نصب معطوف على المفعول في " ذَرْنِي " (٣٥). ويكون المعنى على هذا القول: " ذرني ومن حاله آتة وحيد في الكفر والخبث والدناءة سأنتقم منه " (٣٦). فيكون " وَحِيدًا " من صفة المخلوق (٣٧).

القول الرابع: " وَحِيدًا " منصوب على الحال من ضمير المفعول المحذوف العائد على " مَنْ " أي:

-
- ٢٠- محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨٧م) ط ٣، ج ٤، ص ٦٤٧، وانظر: عبد الكريم بن هوازن القشيري، لطائف الإشارات (تفسير القشيري)، تحقيق: إبراهيم البسيوني، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، بدون التاريخ) ط ٣، ج ٣، ص ٦٤٩.
- ٢١- انظر: السمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ج ١٠، ص ٥٤٢، وأبو البقاء العكبري، التبيان في إعراب القرآن، ج ٢، ص ١٢٥٠، ومحبي الدين درويش، إعراب القرآن وبيانه، ج ١٠، ص ٢٧٧.
- ٢٢- عبد الكريم بن هوازن القشيري، لطائف الإشارات (تفسير القشيري)، ج ٣، ص ٦٤٩.
- ٢٣- انظر: إبراهيم بن السري الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، (بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٨م) ط ١، ج ٥، ص ٢٤٦.
- ٢٤- انظر: محمود بن عمرو الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج ٤، ص ٦٤٧، ومحمود بن عبد الله الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج ١٥، ص ١٣٥.
- ٢٥- انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٢٩، ص ٣٠٤، ومحبي الدين درويش، إعراب القرآن وبيانه، ج ١٠، ص ٢٧٧، ومحمود بن عبد الرحيم صافي، الجدول في إعراب القرآن الكريم، (بيروت: مؤسسة الإيوان، ١٩٩٧م)، ط ٤، ج ٢٩، ص ١٥٠.
- ٢٦- أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، ج ١٠، ص ٣٢٨.
- ٢٧- انظر: إبراهيم بن السري الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج ٥، ص ٢٤٦.

"خلقته وحيدا"^(٢٨). استظهره أبو حيان على الأقوال الأخرى^(٢٩). ويحتمل المعنى على هذا القول بالوجوه التالية:

الأول: يحتمل أن يكون المعنى: "خلقته" حال كونه منفردا ذليلا فريدا لا مال له ولا ولد. فاتاه الله تعالى المال والولد، فكفر نعمته وأشرك به واستهزأ بدينه"^(٣٠). نزلت الآية في ذم الوليد بن المغيرة الذي كان لقب في قريش بالوحيد لكثرة الولد وسعة المال وغير ذلك من مزاياه، وكانت قريش ترجع إليه في أمورهم لكونه أسنّ من أبي جهل وأبي سفيان، ولكن الله سباه به تهكما أو دلالة على كونه وحيدا في الشرارة والخيانة والدناءة أو لكونه دعيا^(٣١). ويؤيده قوله تعالى: ﴿عُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَيْعٌ﴾^(٣٢). ويرز ابن عاشور دلالة هذا الوجه بقوله: "وجاء هذا الوصف بعد فعل خَلَقْتُ، ليصرف هذا الوصف عما كان مرادا به أي أوجدته وحيدا عن المال والبنين والبسطة، فيغيّر عن غرض المدح والثناء الذي كانوا يخصّونه به، إلى غرض الافتقار إلى الله الذي هو حال كلّ مخلوق"^(٣٣). ففيه استهزاء بلقبه بتصريف الوصف من المدح إلى الذم. وذلك كقوله: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٣٤).

الثاني: أن يكون المعنى: "خلقته وحده لا ناصر له"^(٣٥).

٢٨- انظر: ابن قتيبة الدينوري أبو محمد عبد الله بن مسلم، غريب القرآن، المحقق: سعيد اللحام، ج ١، ص ٤٢٤، وأحمد بن محمد الخراط، المجتبى من مشكل إعراب القرآن، (المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ٢٠٠٥م، بدون الطبع)، ج ٤، ص ١٣٥٨، والسمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ج ١٠، ص ٥٤٢، وأبو البقاء العكبري، التبيان في إعراب القرآن، ج ٢، ص ١٢٥٠، ومحبي الدين درويش، إعراب القرآن وبيانه، ج ١٠، ص ٢٧٧.

٢٩- انظر: أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، ج ١٠، ص ٣٢٨.

٣٠- انظر: المصدر السابق.

٣١- انظر: ناصر الدين البيضاوي عبد الله بن عمر، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٧م) ط ١، ج ٥، ص ٢٦٠.

٣٢- سورة القلم، الآية: ١٣.

٣٣- ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٢٩، ص ٣٠٤.

٣٤- سورة النحل، الآية: ٧٨.

٣٥- عبد الكريم بن هوازن القشيري، لطائف الإشارات، (تفسير القشيري)، ج ٣، ص ٦٤٩.

الثالث: أنه يدل بذلك على معنى: "أنه يبعث وحيدا كما خلق وحيدا"^(٣٦).

وأرى، والله أعلم، أن هذه الأقوال كلها سليمة، والأولى هو الأول لما فيه من تسليية الرسول صلى

الله عليه وسلم بذكر الوعيد والتهديد لكل من عاند الحق مبارزا لله ورسوله بالمنازلة.

﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأُولَىٰ أَوْ يَأْتِيَهُمْ

الْعَذَابُ قُبُلًا ۗ ﴾^(٣٧). الشاهد في الآية "قُبُلًا" منصوب على الحال وفي صاحبها وجهان، أحدهما: أنه حال

من الفاعل أي "الْعَذَابُ". والثاني: أنه حال من ضمير المفعول في "يَأْتِيَهُمْ"^(٣٨). وتأثير اختلاف صاحبها في

المعنى ما يلي:

القول الأول: "قُبُلًا" انتصابه على الحال من الفاعل أي "الْعَذَابُ". ويحتمل المعنى على هذا

القول الوجوه التالية:

الأول: يحتمل أن يكون المعنى: "يأتيهم العذاب قبلا قبلا أي صفا صفا أي أجناسا"^(٣٩). كأنه

طوائف من العذاب أي: "إتيان العذاب لونا لونا وضربا ضربا"^(٤٠). ففيه إخبار عن ضروب العذاب من الذل

والهوان من عقوباتهم المتنوعة بسبب كفرهم وجحودهم، ودلالته عند السيوطي حيث رأى أن الآية تعني:

"وما منع الناس أن يؤمنوا إلا إرادة أن تأتيهم سنة الأولين من الخسف أو غيره أو يأتيهم العذاب قبلا في

الآخرة، فأخبر أنه أراد أن يصيبهم أحد الأمرين، ولا شك أن إرادة الله مانعة من وقوع ما ينافي المراد، فهذا

حصر في السبب الحقيقي؛ لأن الله هو المانع في الحقيقة"^(٤١). وصفوة الكلام: "أن المانع للناس من الإيمان

٣٦- أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، النكت والعيون، (تفسير الماوردي)، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد

الرحيم، (بيروت: دار الكتب العلمية، بدون التاريخ)، ط٦، ج٦، ص١٣٩.

٣٧- سورة الكهف، الآية: ٥٥.

٣٨- انظر: ناصر الدين البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج٣، ص٢٨٥.

٣٩- مكي بن أبي طالب، مشكل إعراب القرآن، المحقق: د. حاتم صالح الضامن، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ)،

ط٢، ج١، ص٤٤٤.

٤٠- انظر: أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل، إبراز المعاني من حرز الأماني، (بيروت: دار الكتب العلمية، بدون التاريخ

والطبع)، ج١، ص٤٥٦، وأبو عبيدة معمر بن المثنى، مجاز القرآن، المحقق: محمد فواد سزكين، (القاهرة: مكتبة

الخانجي، ١٣٨١هـ، بدون الطبع) ج١، ص٤٠٧.

٤١- عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة: الهيئة المصرية

العامية للكتاب، ١٩٧٤م، بدون الطبع)، ج٢، ص١٤.

والاستغفار هو القضاء عليهم بأن تأتيهم سنة الأمم المتقدمة، وهي الإهلاك في الدنيا، أو تأتيهم أنواع العذاب والبلاء في الآخرة^(٤٢).

الثاني: أن يكون المعنى: "يأتيهم العذاب شيئاً بعد شيء من جنس واحد"^(٤٣). وذلك كقوله تعالى:

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾^(٤٤).

الثالث: أنه في قراءة ابن كثير، ونافع، ومجاهد، وعيسى بن عمر "قبلاً" يدل بذلك على معنى:

"يأتيهم العذاب مقابلة أي عياناً"^(٤٥). إذ أتاهم ظاهراً واضحاً بحيث يرون مقدماته ومبادهيه أي مجاهرة^(٤٦).

ويؤيده قوله تعالى: ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَنَّ اللَّهَ بِنَبِيَّتِهِمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ

مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(٤٧).

القول الثاني: "قبلاً" منصوب على الحال من ضمير المفعول^(٤٨). ويحتمل المعنى على هذا القول

الوجه التالية:

الأول: القبيل: جمع قبيلة، وهي الجماعة المجتمعة التي يقبل بعضها على بعض، ويحتمل أن يكون

المعنى: "قبيلة قبيلة وجماعة جماعة"^(٤٩). وذلك كقوله سبحانه تعالى: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ

٤٢- محمد بن أحمد الغرناطي، التسهيل لعلوم التنزيل، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، (بيروت: شركة دار الأرقم بن

أبي الأرقم، ١٤١٦هـ) ط ١، ج ١، ص ٤٦٨.

٤٣- مكّي بن أبي طالب، مشكل إعراب القرآن، ج ١، ص ٤٤٤.

٤٤- سورة النحل، الآية: ٨٨.

٤٥- انظر: محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (بيروت: مؤسسة الرسالة،

٢٠٠٠م)، ط ١، ج ١٨، ص ٥٠، ومكّي بن أبي طالب، مشكل إعراب القرآن، ج ١، ص ٤٤٤، وعبد الحق بن غالب

ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، (بيروت: دار

الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ)، ط ١، ج ٣، ص ٥٢٥.

٤٦- انظر: محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ج ٥، ص ٧٧.

٤٧- سورة النحل، الآية: ٢٦.

٤٨- انظر: ناصر الدين البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج ٣، ص ٢٨٥.

٤٩- الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، المحقق: صفوان عدنان الداودي، (دمشق: دار

القلم، ١٤١٢هـ) ط ١، ج ١، ص ٦٥٤.

سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ أي: "كلما ألقى في جهنم جماعة من الكفار سألهم خزنتها من الملائكة سؤال توبيخ وتقريع، ألم يأتكم في الدنيا نذير يندرکم هذا اليوم ويحذركم منه؟" (٥١).

الثاني: يحتمل أن يكون من كسر القاف وفتح الباء نصبه على الحال من المفعول وهو بمعنى معاينة أو عيانا أو مقابلة، ومعناه: "يقابلونه عيانا من حيث يرونه." (٥٢) أي: "من قبل وجوههم وهو المواجهة" (٥٣).

وذلك كقوله: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْسِلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِّن دِينِهِمْ تَقْطَعُونَ عَلَيْهِمْ يَأْتِيهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُواكُمُ اسْتَكْرَى تَفْشُرُوهُمْ وَهُمْ مُحْرَمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتَتُؤَمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَيْهِ أَسَدُّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ رَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يُرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾﴾، فحاصل معنى الآية: "أنهم لا يؤمنون ولا يستغفرون إلا عند نزول عذاب الدنيا المستأصل لهم، أو عند إتيان أصناف عذاب الآخرة أو معاينته" (٥٤).

وأرى، والله أعلم، أن هذه الأوجه كلها سليمة ومقبولة.

المبحث الثاني: الاختلاف في ذي الحال بين الرفع والنصب للحال الجملة:

هذا المبحث يشتمل على شواهد اختلاف ذي الحال للحال الجملة أي الجملة الاسمية مكونة من

مبتدأ وخبر والجملة الفعلية التي تبدأ بفعل، ومن أمثلته ما يلي:

-
- ٥٠- سورة الملك، الآية: ٨.
- ٥١- محمد بن علي اليميني الشوكاني، فتح القدير، (دمشق/بيروت: دار ابن كثير- دار الكلم الطيب، ١٤١٤هـ)، ط ١، ج ٥، ص ٣١١.
- ٥٢- مكّي بن أبي طالب، مشكل إعراب القرآن، ج ١، ص ٤٤٤، وانظر: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الإتيقان في علوم القرآن، ج ٢، ص ١٤.
- ٥٣- انظر: أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل، إبراز المعاني من حرز الأمان، (بيروت: دار الكتب العلمية، بدون الطبع)، ج ١، ص ٤٥٦.
- ٥٤- سورة البقرة، الآية: ٨٥.
- ٥٥- سورة البقرة، الآية: ١٦٥.
- ٥٦- محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير، ج ٣، ص ٣٥٠.

أولاً: الحال الجملة الاسمية:

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ۖ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ﴾^(٥٧).

الشاهد في الآية "وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ" جملة حالية في موضع نصب على الحال، وفي ذي الحال قولان، الأول: أنه حال من ضمير الفاعل في "تَتَّخِذُونَهُ" أي "أنتم"، والثاني: أنه حال من مفعوله؛ لاشتراكه على الرابط لكل من الوجهين^(٥٨). وتأثير هذا الاختلاف في المعنى ما يلي:

القول الأول: "وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ" جملة حالية في موضع نصب على الحال من الضمير المرفوع في "تَتَّخِذُونَهُ" أي "أنتم"^(٥٩). ويكون المعنى على هذا الوجه: "إنكم تستبدلون إبليس وذريته بي فتطيعونهم بدل طاعتي وتتخذونهم شركاء لي في العبادة عالمين بأن إبليس عدو لكم، فبئس البديل من الله إبليس لمن استبدله"^(٦٠). لقد سمعت قريش قصة آدم وإبليس من أهل الكتاب وصدّقوها، فلذا احتج بها عليهم، وإن لم يعترفوا بكون محمد صلى الله عليه وسلم نبياً^(٦١). والهمزة للإنكار والتعجب في قوله "أَفَتَتَّخِذُونَهُ"^(٦٢). كما يدل تقيد الاتخاذ بالجملة الحالية على تأكيد الإنكار وترسيخه، فإن مضمون الجملة الحالية منافي لوقوع الاتخاذ قطعاً^(٦٣). ففيه توبيخ ووعظ، وذرية إبليس هم الشياطين واتخاذهم أولياء بطاعتهم في عصيان الله والكفر به.

٥٧- سورة الكهف، الآية: ٥٠.

٥٨- انظر: السمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ج ٧، ص ٥٠٨، ومحيي الدين درويش، إعراب القرآن وبيانه، ج ٥، ص ٦١٨.

٥٩- انظر: السمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ج ٧، ص ٥٠٨.

٦٠- محمود بن عمرو الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج ٢، ص ٧٢٨.

٦١- انظر: الحسن بن محمد النيسابوري، تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، المحقق: الشيخ زكريا عميرات، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٥م) ط ١، ج ٤، ص ٤٣٧.

٦٢- انظر: ناصر الدين البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج ٣، ص ٢٨٤، وأحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي، (مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٩٤٦م)، ط ١، ج ١٥، ص ١٦٠.

٦٣- انظر: محمود بن عبد الله الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج ٨، ص ٢٧٩، وأبو السعود محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (تفسير أبي سعود)، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، بدون التاريخ والطبع)، ج ٥، ص ٢٢٧.

اللَّهُ أَنَّى يُؤَفِّكُونَ ﴿٤﴾ أي: "وهم لكم عدو ييغون بكم الغوائل ويوردونكم المهالك؟" (٧١).

وأرى، والله أعلم، أن الأرجح هو القول الأول لما فيه أشد تحذير للناس من هذا العدو، الذي لعنه الله وطرده من رحمته، تحذير لهم من أن ينقادوا له، فمن انقاد له فقد فسق وخرج عن أمر ربه، وكان وضعه في المجتمع الإنساني المؤمن، كوضع إبليس من الملائكة (٧٢).

ثانيا: الحال الجملة الفعلية:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِكَافِرِينَ بِهِ إِلَّا أَنْ تُحْمَضُوا فِيهِ ؕ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَنِّي حَكِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾

الشاهد في الآية "تُنْفِقُونَ" الجملة الفعلية في موضعا لنصب على الحال، وذكر في صاحبها وجهان: الأول: أنها حال من الفاعل "تَيَمَّمُوا"، والثاني: أنها حال من مفعوله أي "الخبِيث"؛ لأن في الجملة ضميرا يعود إليها (٧٥) وتأثير اختلاف صاحبها في المعنى ما يلي:

الوجه الأول: "تُنْفِقُونَ" في محل نصب على الحال من ضمير الفاعل في "تَيَمَّمُوا" أي أنتم، وتيمم بالناء والياء، وتأمم بالياء والهمزة كلها بمعنى قصد وعمد، وقال الخليل: "أتمته قصدت أمامه، ويممته قصدته من أي جهة كانت، فالتيمم هو القصد" (٧٦). ويحتمل هذا الوجه أن يكون المعنى: "ولا تقصدوا المال الرديء تخصونه بالإنفاق" (٧٧)، نزلت هذه الآية عندما حث النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين على الصدقة،

٧١- سورة المنافقون، الآية: ٤.

٧٢- محمد جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل، المحقق: محمد باسل عيون السود، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ) ط ١، ج ٧، ص ٤٢.

٧٣- انظر: عبد الكريم يونس الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، (القااهرة: دار الفكر العربي، بدون التاريخ والطبع) ج ٨، ص ٦١٣.

٧٤- سورة البقرة، الآية: ٢٦٧.

٧٥- انظر: محمد بن يوسف الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، ج ٢، ص ٦٧٩، وأبو البقاء العكبري، التبيان في إعراب القرآن، ج ١، ص ٢١٩، والسمين الحلبي، الدر المنصون في علوم الكتاب المكنون، ج ٢، ص ٦٠١.

٧٦- انظر: محمد بن يوسف الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، ج ٢، ص ٦٧٥، وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٣، ص ٥٦.

٧٧- انظر: محمود بن عمرو الزحشري، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، ج ١، ص ٣١٤، وعبد الله بن أحمد النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بدوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، (بيروت: دار الكلم الطيب، ١٩٩٨م) ط ١، ج ١، ص ٢٢٠.

فتصدق رجل بعذق من تمر عامته حشف^(٧٨). فمِنع إخراج الرديء الخبيث من الأموال المكتسبة والموهوبة للإِنفاق على الفقراء، والحال أن المنفق ليس بأخذه من الغير في معاملاته إلا أن يغمض ويسامح فيه، وبالإضافة إلى ذلك، أن الله غني عن إنفاق الخلق وتصدقهم وإنما يأمرهم بذلك لانتفاعهم واستفادتهم^(٧٩). فهي حال مقدرة من فاعل تيمموا، لأن الإنفاق منه يقع بعد القصد إليه^(٨٠). ودلالة هذا الوجه أنه تعالى قال: "وَلَا تَيَمَّمُوا" ولم يقل: "وَلَا تُنْفِقُوا" مع أن اللفظ كان أوجز، وذلك لأن القبيح من الإنسان أن يقصد الخبيث أي الرديء فقط من أمواله المفضلة للإِنفاق في سبيل الله، ولكن من ليس عنده إلا الرديء، أو لمن لا ينويه خصوصا فغير مذموم^(٨١). ويعني ذلك أن المنهي عنه هو تخصيص الرديء بالإِنفاق في سبيل الله^(٨٢).

الوجه الثاني: "تُنْفِقُونَ" الجملة الحالية من المفعول "الخبيث"، والخبيث: "الرديء وهو ضد الطيب صيغة مبالغة بزيادة الياء من خَبُث وهو ما ينافر حس النفس: ظاهره وباطنه، في مقابله ما يرتاح إليه من الطيب الذي ينسبط إليه ظاهرا وباطنا"^(٨٣). وفيه قولان: أحدهما: أنه الرديء، قاله الأكترون نحو علي، والبراء بن عازب، وسبب الآية يدل عليه حيث إنهم كانوا يأتون بالحشف فيدخلونه في تمر الصدقة، فنزلت هذه الآية. والآخر: أن الخبيث يعني الحرام^(٨٤). ويكون المعنى على هذا الوجه، أي: لا تقصدوا الخبيث منقفا منه^(٨٥). أي مختصا به للإِنفاق ولو كان أهدي لكم ما قبلتموه^(٨٦). يعني الرديء من أموالكم، والحشف من

-
- ٧٨- انظر: نصر بن محمد السمرقندي، بحر العلوم، ج ١، ص ١٧٨.
- ٧٩- انظر: الشيخ علوان نعمة الله بن محمود النخجواني، الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفراقية، (مصر: دار ركابي للنشر - الغورية، ١٩٩٩م) ط ١، ج ١، ص ٩١.
- ٨٠- انظر: السمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ج ٢، ص ٦٠١، وناصر الدين البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج ١، ص ١٥٩.
- ٨١- انظر: الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، تفسير الراغب الأصفهاني، جزء ١: المقدمة وتفسير الفاتحة والبقرة، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، (مصر: كلية الآداب - جامعة طنطا، ١٩٩٩ م)، ط ١، ص ٥٦٤.
- ٨٢- انظر: محمد بن يوسف الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، ج ٢، ص ٦٧٥ - ٦٨٠.
- ٨٣- إبراهيم البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج ٤، ص ٩٠.
- ٨٤- انظر: أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، النكت والعيون، (تفسير الماوردي)، ج ١، ص ٣٤٣، وعبد الرحمن بن علي الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، المحقق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٢٢ هـ)، ط ١، ج ١، ص ٢٤١.
- ٨٥- انظر: السمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ج ٢، ص ٦٠١.
- ٨٦- انظر: محمود بن عبد الله الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج ٢، ص ٣٨.

التمر، والعفن والزوان من الحبوب، والزيوف من الدراهم والدنانير^(٨٧). فالجملة حال من المفعول وهي حال مقارنة. والمعنى أن الله تعالى ندمهم إلى أن يتقربوا إليه بأفضل ما يملكونه قضاء لحقوق التعظيم والإخلاص؛ فالترغيب في الإنفاق الطيب والمنهي عنه هو تخصيص الخبيث بالإنفاق منه أي إذا كان في المال طيب وخبيث^(٨٨). كما يبرز الجانب الدلالي لهذا الوجه في تقديم الجار والمجرور "منه" على الحال "تُنْفِقُونَ"، حيث يفيد التخصيص أي لا تنفقوا الخبيث الرديء أو الفاسد أو الخاسر فقط، فالتخصيص لتأنيبهم بما كانوا يسعون من إنفاق الرديء خصوصا حيث كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره ورذالة أموالهم، ويعزلون الجيد ناحية لأنفسهم، فنهوا عنه^(٨٩).

وأرى أن الوجهين كلاهما صواب ولكن الأقوى هو الأول؛ لما فيه من إشارة إلى تصحيح النية لتكون النفقة مقبولة فلا يصح أن يعمد المتصدق إلى الرديء ويخصه الله عز وجل،^(٩٠) مصداقا لقوله تعالى:

﴿لَنْ نَأْتِيَ بِكَ إِلَّا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا حُبَبْتُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾^(٩١).

﴿يَنْبِئُ آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ بَدَنِهِمْ إِنَّهُمْ يَرْتَدَّوْنَ عَنْ قِبَلِهِ مَنْ حَيْثُ لَا نُورُهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾﴾^(٩٢).

الشاهد في الآية "يَنْزِعُ عَنْهُمَا" جملة فعلية في موضع نصب على الحال، وفي ذي الحال قولان، الأول: أنه حال من الفاعل المستتر في "أَخْرَجَ"، والثاني: أنه حال من مفعوله "أَبَوَيْنِ"؛ لأن فيها ضميرين لهما^(٩٣). والنزع: "الاجذب للشئ بقوة عن مقره، ومنه: ﴿يَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴿٢٠﴾﴾^(٩٤). وتستعمل

٨٧- انظر: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، المحقق: محمد علي معوض وعادل أحمد عبد الموجود، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ)، ط ١، ج ٢، ص ٢٦٨-٢٦٩.

٨٨- انظر: الحسن بن محمد النيسابوري، تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ج ٢، ص ٤٥.

٨٩- انظر: أبو السعود محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (تفسير أبي سعود)، ج ١، ص ٦١، ومحمود بن عبد الله الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج ٢، ص ٣٨.

٩٠- انظر: د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، التفسير الوسيط، (دمشق: دار الفكر المعاصر، ١٤٢٢هـ)، ط ١، ج ١، ص ١٥٦.

٩١- سورة آل عمران، الآية: ٩٢.

٩٢- سورة الأعراف، الآية: ٢٧.

٩٣- انظر: أبو البقاء العكبري، التبيان في إعراب القرآن، ج ١، ص ٥٦٣، ومحمود بن عبد الله الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج ٤، ص ٣٤٤، وأبو السعود محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى

في الأعراض، ونُزِعَ فلان كذا سلبه، ومنه ﴿وَالنَّزِعَاتِ غَرْقًا﴾^(٩٥)، "لأنها تفلع أرواح الكفرة بشدة."^(٩٦) وتأثير هذا الاختلاف في المعنى ما يلي:

القول الأول: "يَنْزِعُ عَنْهَا" الجملة حالية وذو الحال ضمير الفاعل في "أَخْرَجَ" أي هو^(٩٧). ويكون المعنى على هذا الوجه: أخرج الشيطان أويكم حالة كونه ينزع ويسقط عن أويكم لباسها^(٩٨). أي أخرجها نازعا لباسها؛ يعني حالة كونه تسبب في سقوط لباسها عنها بأمرها بالأكل من الشجرة. والشيطان لم يهدف إلى إخراج آدم من الجنة بل قصد إهباطه من مقامه ومرتبته، وإبعاده عن رحمة الله وكرمه، كما أبعد هو، فلم يدرك مراده، لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَجْنَبتُهُ رَبُّهُ فَأَبَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾^(٩٩). وقد أسند الإخراج ونزع اللباس إلى الشيطان وإن لم يكن من فعله وذلك لكونه سببا فيه؛ فهو مجاز عقلي بتزليل السبب منزلة الفاعل ولو كان النزع حقيقة أم تمثيلا^(١٠٠). ويعني باللباس النور، أو التقى، أو ثياب الجنة، وهذا الأخير هو الأقرب حسب ما يقتضيه إطلاق اللباس، فالآية تخاطب من كان يطوف بالكعبة عريانا، وتحذره فتنة

مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبي سعود)، ج ٣، ص ٢٢٢، ومحمد الأمين بن عبد الله، تفسير حدائق الروح والريحان في روائع علوم القرآن، ج ٩، ص ٢٦٣.

- ٩٤- سورة القمر، الآية: ٢٠.
- ٩٥- سورة النازعات، الآية: ١.
- ٩٦- عمر بن علي بن عادل النعماني، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوض، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م)، ط ١، ج ٩، ص ٧٤.
- ٩٧- انظر: أبو البقاء العكبري، التبيان في إعراب القرآن، ج ١، ص ٥٦٣، ومحمود بن عمرو الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج ٢، ص ٩٨، وأحمد بن محمد الخراط، المجتبى من مشكل إعراب القرآن، ج ١، ص ٣١٤، ووهبة بن مصطفى الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، (دمشق: دار الفكر المعاصر، ١٤١٨هـ)، ط ٨، ج ٨، ص ١٦٧، وعبد الحق بن غالب ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ج ٢، ص ٣٩٠.
- ٩٨- انظر: محمد الأمين بن عبد الله، تفسير حدائق الروح والريحان في روائع علوم القرآن، ج ٩، ص ٢٦٣.
- ٩٩- سورة طه، الآية: ١٢٢.
- ١٠٠- انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٨-ب، ص ٧٧-٧٨، ومحمد بن يوسف الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، ج ٥، ص ٣٢، وأبو السعود محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبي سعود)، ج ٣، ص ٢٢٢.

الشیطان كما فتن آدم وحواء من قبل، فالأسلوب أبلغ في الزجر والتحذير^(١٠١)، يعني: "لا يفتنكم الشيطان، عن دينكم في أمر الثياب فينزعه عنكم، فتبدو عوراتكم، كما فعل بأبويكم، نزع عنها لباسها وأظهر عورتها"^(١٠٢) وهذا يدل على أن الشيطان يحاول نزع الخير عن قلب المؤمن، وإخراجه من الطاعة إلى ذلة المعصية وكشف عورات الناس في المجتمع البشري^(١٠٣).

القول الثاني: الشاهد "يَنْزِعُ عَنْهَا" حال من مفعول "أَبَوَيْنَ"^(١٠٤). ويكون المعنى على هذا القول: "أخرج الشيطان أبويكم منزوعا لباسها". أبرز ابن عاشور دلالة هذا الوجه بقوله: "والمقصود من هذه الحال المقارنة تفضيح هيئة الإخراج بكونها حاصلة في حال انكشاف سوءاتها لأن انكشاف السوء من أعظم الفطائع في متعارف الناس"^(١٠٥)، أي: كان إخراجها من الكرامة والنعيم الواسع الذي كانا فيه في الجنة إلى حيث اللغوب والمشقة، والمعتك الذي يكون فيه الغلب والقهر والانزهاض لصرفها عما كانا عليه من الطاعة إلى المعصية^(١٠٦). يعني أخرجنا من الجنة مكرهين لارتكاب ما أغضب الله وما أوجب عقابه. ودلالة هذا القول أنه يشير الحسرة في نفوس المؤمنين على ما أصاب أبويهم ممن جردوا عن امتثالهم لوصاية الله تعالى كما يلزم الوقوف عند الأمر والنهي، ويحذرهم من فتنة الشيطان^(١٠٧).

وأرى، والله أعلم، أن الأرجح هو القول الأول؛ لأنه يمثل إغراء الشيطان وشدة عداوته لبني آدم بتصوير إخراج الأبوين من النعيم الدائم ويحثهم على السعي الذي يعيدهم إلى جنة ربهم^(١٠٨).

المبحث الثالث: الاختلاف في ذي الحال بين الرفع والنصب للحال شبه الجملة:

هذا المبحث يلقي الضوء على شواهد اختلاف ذي الحال بين الرفع والنصب للحال شبه الجملة

- ١٠١- انظر: محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٦٤م) ط٣، ج١، ص٣١٢.
- ١٠٢- نصر بن محمد السمرقندي، بحر العلوم، ج١، ص٥٠٩.
- ١٠٣- انظر: أبو زهرة محمد بن أحمد، زهرة التفاسير، (القاهرة: دار الفكر العربي، بدون التاريخ والطبع)، ج٦، ص٢٨٠٨.
- ١٠٤- انظر: أبو البقاء العكبري، التبيان في إعراب القرآن، ج١، ص٥٦٣.
- ١٠٥- ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٨-ب، ص٧٧-٧٨.
- ١٠٦- انظر: محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، ج١، ص٣١٢.
- ١٠٧- انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١، ص٤٣٤.
- ١٠٨- انظر: الخازن علي بن محمد، لباب التأويل في معاني التنزيل، تصحيح: محمد علي شاهين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ) ط١، ج٢، ص١٩١.

أي الجار والمجرور أو الظرف، وأمثله ما يلي:

﴿لَيْكِنَ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ﴾ وَكَفَى بِاللَّهِ

شَهِيدًا ﴿١٣٩﴾

الشاهد في الآية "بعلمه" شبه الجملة في موضع نصب على الحال، وقد اختلف المفسرون في تقدير ذي الحال وفيه قولان: أحدهما: أنه حال من ضمير الفاعل، والثاني: أنه حال من المفعول^(١١٠). وتأثير هذا الاختلاف في المعنى ما يلي:

القول الأول: "بعلمه" الجار والمجرور في محل نصب على الحال من الفاعل في "أنزله"، ويحتمل المعنى على هذا القول الوجه التالية:

الأول: أن يكون المعنى: أنزله عالما به^(١١١). اختاره جماعة من المفسرين، أي: "أنزله بعلمه الخاص به الذي لا يعلمه غيره سبحانه، وهو تأليفه على نظم وأسلوب يعجز عنه كل بليغ وصاحب بيان"^(١١٢). والعلم على هذا الوجه بمعنى المعلوم، والمراد به التأليف والنظم المخصوص والباء في "بعلمه" للمصاحبة أي: ملتبسا^(١١٣)، ويعني ذلك أنه تعالى أنزله بعلم تام وحكمة بالغة، ويبرز الرازي دلالة هذا الوجه بقوله: "أنزله بعلمه وصف القرآن بغاية الحسن ونهاية الكمال، وهذا مثل ما يقال في الرجل المشهور بكمال الفضل والعلم إذا صنف كتابا واستقصى في تحريره: إنه إنما صنف هذا بكمال علمه وفضله، يعني أنه اتخذ جملة علومه آلة ووسيلة إلى تصنيف هذا الكتاب فيدل ذلك على وصف ذلك التصنيف بغاية الجودة ونهاية الحسن، فكذا هاهنا والله أعلم"^(١١٤)، أي أن الله تعالى أنزل القرآن بأسلوب معجز ونظم خاص لا يستطيع أي

١٠٩- سورة النساء، الآية: ١٦٦.

١١٠- انظر: أبو البقاء العكبري، التبيان في إعراب القرآن، ج ١، ص ٤١٠، ومحبي الدين درويش، إعراب القرآن وبيانه، ج ٢، ص ٣٨٥، والسمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ج ٤، ص ١٦٣، وعمر بن علي بن عادل النعماني، اللباب في علوم الكتاب، ج ٧، ص ١٣٩.

١١١- انظر: أبو البقاء العكبري، التبيان في إعراب القرآن، ج ١، ص ٤١٠.

١١٢- ناصر الدين البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج ٢، ص ١١٠.

١١٣- انظر: السمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ج ٤، ص ١٦٣، ومحمود بن عبد الله الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج ٣، ص ١٩٤.

١١٤- فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ج ١١، ص ٢٦٩.

بليغ أن يأتي مثله، فالحال تصف القرآن لكمال بلاغته ونظمه البديع.

والثاني: أن يكون المعنى: "أنزله وهو عالم بأنك أهل لإنزاله إليك وأنتك مبلغه لقيامك فيه بالحق وحسن دعائك الناس إليه، وحثك عليه"^(١١٥). كما يحتمل أن المراد بعلمه: "أنتك تبلغه إلى عباده من غير تبديل ولا زيادة ولا نقصان"^(١١٦). وعلى هذا الوجه فالعلم بمعناه. وموقع الجملة على هذا الوجه موقع التقرير والبيان للصلة وقيل: إنها في الوجهين الأول والثاني كالتفسير؛ لأنها بيان لإنزاله على وجه مخصوص^(١١٧).

والثالث: أن يكون التقدير: "أنزله وهو عالم به رقيب عليه حافظ له من الشياطين برصد من الملائكة، والملائكة يشهدون بذلك، كما قال في آخر سورة الجن: ﴿لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَكَ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾^(١١٨) والإحاطة يعني العلم^(١١٩). وعلى هذا فالعلم يضمن معنى الرقيب والحافظ، ويدل على تعظيم لأمر القرآن بحفظه^(١٢٠).

القول الثاني: "بعلمه" شبه الجملة حال من ضمير المفعول في "أنزله"؛ والمعنى على هذا القول يحتمل الوجوه التالية:

الأول: أن يكون التقدير: "أنزله معلوما، أو أنزله وفيه علمه؛ أي: معلومه"^(١٢١). ويعني ذلك: "أن فيه علمه الذي أراد أن يطلع العباد عليه، من البيئات والهدى والفرقان وما يحبه الله ويرضاه، وما يكرهه ويأباه، وما فيه من العلم بالغيوب من الماضي والمستقبل، وما فيه من ذكر صفاته تعالى المقدسة، التي لا يعلمها نبي مرسل ولا ملك مقرب، إلا أن يعلمه الله به"^(١٢٢). ويدل عليه قوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

-
- ١١٥ - انظر: عبد الله بن أحمد النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ج ١، ص ٤١٧، وعلي بن أحمد الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: صفوان عدنان داودي، (دمشق: دار القلم، ١٤١٥هـ)، ط ١، ج ١، ص ٣٠٢.
- ١١٦ - محمد بن يوسف الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، ج ٤، ص ١٤٠-١٤١.
- ١١٧ - انظر: محمود بن عبد الله الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج ٣، ص ١٩٤.
- ١١٨ - سورة الجن، الآية: ٢٨.
- ١١٩ - محمود بن عمرو الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج ١، ص ٥٩٢.
- ١٢٠ - انظر: محمود بن عبد الله الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج ٣، ص ١٩٤.
- ١٢١ - انظر: إبراهيم بن السري الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج ٢، ص ١٣٤، وأبو البقاء العكبري، التبيان في إعراب القرآن، ج ١، ص ٤١٠.
- ١٢٢ - محمد علي الصابوني (اختصار وتحقيق)، مختصر تفسير ابن كثير، (بيروت: دار القرآن الكريم، ١٩٨١م)، ط ٧، ج ٢، ص ٤٧٦.

أَلْحَى الْقَيُومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ، مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴿١٢٣﴾

والثاني: أن يكون المعنى: "أنزله مما علم من مصالح العباد مشتملا عليه" (١٢٣). أي: "بعلمه الذي يحتاج إليه الناس في معاشهم ومعادهم، فالجار والمجرور حال من المفعول" (١٢٤). ومتعلق العلم هو مصالح العباد، وعلى هذا الوجه وقع شبه الجملة موقع التقرير والبيان للصلة وقيل: إنها كالتفسير لأنها بيان لإنزاله على وجه مخصوص (١٢٥). وفيه إثبات العلم لله سبحانه وتعالى (١٢٦).

وأرى، والله أعلم، أن القولين كلاهما صواب والأقوى هو الأول لما فيه إشارة وتنبية على وجه شهادته تعالى، وهي أعظم شهادة وأوثقها (١٢٨).

﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جِمْلَتَا لَأِجْمَلٍ مِّنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ۗ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ ﴿١٨﴾ ﴿١٢٩﴾

الشاهد في الآية "بِالْغَيْبِ" الجار والمجرور في موضع نصب على الحال، وفي ذي الحال قولان: أحدهما: أنه حال من الفاعل، والثاني: أنه حال من المفعول (١٣٠). وتفصيله ما يلي:

القول الأول: "بِالْغَيْبِ" شبه الجملة في موضع نصب على الحال من الفاعل يخشون أي "هم"، والخشية: "خوف يشوبه تعظيم، وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه، فمعنى الخوف من الله: " أن تخاف أن تكون مقصرا فيما طلب منك، وفيها كلفك به؛ لأن مقاييسه تعالى عالية، وربما فاتك من ذلك

١٢٣- سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

١٢٤- محمود بن عمرو الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج ١، ص ٥٩٢.

١٢٥- ناصر الدين البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج ٢، ص ١١٠.

١٢٦- انظر: محمود بن عبد الله الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج ٣، ص ١٩٤.

١٢٧- انظر: عبد الله بن أحمد السنفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ج ١، ص ٤١٧، وعلي بن أحمد الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ٢، ص ١٣٨.

١٢٨- انظر: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحي، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠م)، ط ١، ج ١، ص ٢١٥.

١٢٩- سورة فاطر، الآية: ١٨.

١٣٠- انظر: محمد بن يوسف الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، ج ٩، ص ٢٥.

شيء^(١٣١). وقد خصص العلماء بها لكونهم عارفين بالله وبحكمته في الكون وكلما تبرز لهم أسرار الكون وحقائقه؛ تعاضموا لله خشية كما في قوله: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ وَالْذَوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّكَ اللَّهُ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾^(١٣٢). والغيب على هذا الوجه بمعنى الغيبة مصدر غاب يغيب إذا توارى، أقيم مقام اسم الفاعل، وهو من كثير استعماله بمعنى الغائب، يعني ما كان آفلا عن العيون. وكانت الباء للملابسة ظرفا مستقرا^(١٣٣). ويحتمل المعنى على هذا الوجه الاحتمالات التالية:

الأول: أن يكون المعنى: "إن إنذارك ينفع الذين يخشون ربهم حال كونهم في خلواتهم عن الخلق، فمهابة الله والأدب معه تلازمهم حتى في خلواتهم وانفرادهم، فخشيتهم حق لا رياء"^(١٣٤). والمعنى أن الإنذار لا ينفع إلا الذين يخشون ربهم، وليس المعنى اختصاصهم بالإنذار، فوقع المصدر حالا من الفاعل. أي يخشون ربهم، وهم غائبون عن الناس^(١٣٥). وفيه وصف لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كونهم ملازمين خشية الله، مقيمين الصلاة، فهم من متفعلي الإنذار دون متمردي العرب ومنكري الرسالة^(١٣٦).

والثاني: أن يكون المعنى: "يخشونه في ضمائر القلوب كما يخشونه في ظواهر الأفعال"^(١٣٧). كقوله:

﴿ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْعَلِيمَ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴾^(١٣٨) أي يخشونه في السر حيث لا يطلع عليهم أحد^(١٣٩). وهذا الوجه يمدح المؤمنين لأن ظاهرهم يوافق الباطن؛ فحالمهم مغاير لحال المنافقين^(١٤٠).

-
- ١٣١- الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ج ١، ص ٢٨٣، ومحمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي (الخواطر)، (مصر: مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧م، بدون الطبع)، ج ١٥، ص ٩٥٦٥.
- ١٣٢- سورة فاطر، الآية: ٢٨.
- ١٣٣- انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ١، ص ٢٢٩-٢٣٠، وأبو السعود محمد بن محمد العادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبي سعود)، ج ١، ص ٣١.
- ١٣٤- انظر: إبراهيم بن السري الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج ٤، ص ٢٦٧، ومحمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي (الخواطر)، ج ١٥، ص ٩٥٦٥.
- ١٣٥- انظر: محمد بن أحمد الغرناطي، التسهيل لعلوم التنزيل، ج ٢، ص ١٧٤.
- ١٣٦- انظر: محمود بن عمرو الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج ٣، ص ٦٠٧.
- ١٣٧- أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، النكت والعيون (تفسير الماوردي)، ج ٤، ص ٤٦٨.
- ١٣٨- سورة ق، الآية: ٣٣.
- ١٣٩- انظر: ابن أبي زمنين محمد بن عبد الله، تفسير القرآن العزيز، المحقق: حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز، (القاهرة: الفاروق الحديثة، ٢٠٠٢م)، ط ١، ج ٤، ص ٢٨.

والثالث: أن يكون المعنى: "الذين يقبلون الإنذار هم الذين يخشون ربهم حال كونهم غائبين عن عذاب الآخرة وأهوالها"^(١٤١).

القول الثاني: "بِالْغَيْبِ" شبه الجملة في محل نصب على الحال من المفعول^(١٤٢). والغيب على هذا الوجه اسم؛ والمراد به: "ما غاب عن الحس من العوالم العلوية والأخرية مما أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم صريحا بأنه واقع أو سيقع مثل وجود الله، وصفاته، ووجود الملائكة، والشياطين، والروح، وأشرط الساعة، ونحو ذلك"^(١٤٣). فتكون الباء متعلقة بـ: يخشون، وهو قول جمهور المفسرين^(١٤٤). والمعنى على هذا القول يحتمل الوجوه التالية:

الأول: الجار والمجرور حال من مفعول "ربهم" قاله الجمهور. ويكون المعنى: "تنذر الذين يخشون ربهم حال كونه غائبا عن حسهم، فلم يروه، والله لا يغيب عنه شيء"^(١٤٥). أي يخافون ربهم الله المحسن إليهم بعد الإيجاد بالتربية وأنواع الإحسان، مع أنهم لا يرونه بأعينهم، إنما يرونه في آثار صنعه، فهو لا يرى بالحس بل يرى بالقلب^(١٤٦). ودلالة هذا الوجه أن الله تعالى وصف الذين يخشونه بأنه ربهم الذي خلقهم وهو القائم على شؤونهم، ويخشونه وهو غائب عنهم، علموه بالعقل والنقل فهم يعبدونه كأنهم

-
- ١٤٠- انظر: فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ج٢، ص٢٧٣.
- ١٤١- إبراهيم البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج١٢، ص٤٣١.
- ١٤٢- انظر: محمد بن يوسف الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، ج٩، ص٢٥.
- ١٤٣- انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١، ص٢٢٩-٢٣٠، وفخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ج٢، ص٢٧٣.
- ١٤٤- انظر: المرجع السابق.
- ١٤٥- انظر: عبد الرحمن بن علي الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ج٣، ص١٩٣، ومحمد بن يوسف الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، ج٤٧، ص٤٣٧، وإبراهيم البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج١٢، ص٤٣١، وعلي بن أحمد الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج١، ص٨٩٧، والبغوي الحسين بن مسعود الشافعي، معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٩م)، ط١، ج٣، ص٦٩٢.
- ١٤٦- انظر: محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي (الخواطر)، ج١٥، ص٩٥٦٥، وأبو زهرة محمد بن أحمد، زهرة التفاسير، ج١، ص١٠٣.

يروونه وهذا هو الإحسان في العبادة، وهو حقيقة الخشية^(١٤٧). ونظيره قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾^(١٤٨)، و﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾^(١٤٩)، فمن الأسماء الحسنى "الرب والرحمن" وهما يتواردان كثيرا في الذكر الحكيم، وإن "الرحمن" أكثر ورودا لدلالته على العفو والتلطف والرفق بالمخلوق، وأما "الرب" فيرد للترغيب والترهيب لدلالته على إنفراد الله بإيجاد الخلق وإدارة أمورهم، وحيث ذكر قبل الشاهد أخبار الأنبياء وعيدا وترهيبا يناسبه ذكر الرب. وبهذا يبرز لنا أن التشابه في الآيات القرآنية والاختلاف البسيط في حروفها وكلماتها أمر مقصود قائم على أعلى درجات البلاغة وأسمى مراتب الإعجاز. والتأمل في هذه الجزئيات يكشف لنا سرا مستورا من أسرار هذا النظم البديع وكنزا مخبوءا من كنوز هذا الأسلوب الرفيع^(١٥٠).

والثاني: "بالغيب" حال من مفعول محذوف تقديره "عذاب ربهم" ويكون المعنى على هذا الوجه:
 "إنما تنذر يا محمد الذين يخشون عذابه تعالى وهو غائب عنهم غير مشاهد لهم؛ لأنهم في الدنيا، والعذاب في الآخرة"^(١٥١). فهم يخافون عقاب الله يوم القيامة من غير معاينة منهم لذلك، ولكن لإيمانهم بما أتيتهم به، وتصديقهم لك فيما أنبأهم عن الله، فهو لاء الذين ينفعهم إنذارك ويتعظون بمواعظك، لا الذين طبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون^(١٥٢). والمعنى: "أن خشيتهم من عقاب الله لازم لقلوبهم وهم من عذاب الساعة وسائر ما يجري فيها من الحساب والسؤال مشفقون، فيأثمرون بأوامره وينتهون عن نواهيه وإيمانهم بالله

١٤٧- انظر: أبو زهرة محمد بن أحمد، زهرة التفاسير، ج ٩، ص ٤٨٧٩.

١٤٨- سورة يس، الآية: ١١.

١٤٩- سورة الملك، الآية: ١٢.

١٥٠- انظر: فاضل بن صالح السامرائي، أسرار البيان في التعبير القرآني، والغرناطي أحمد بن إبراهيم، ملك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المشابه اللفظ من أي التنزيل، وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي، (بيروت: دار الكتب العلمية، بدون التاريخ والطبع)، ج ٢، ص ٣٤٥.

١٥١- انظر: محمد بن يوسف الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، ج ٩، ص ٢٥، ومحمد بن علي الشوكاني، فتح القدير، ج ٣، ص ٤٥٨، وعبد الرحمن بن علي الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ج ٣، ص ١٩٣، ومحمود بن عبد الله الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج ٩، ص ٥٥.

١٥٢- انظر: محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج ٢٠، ص ٤٥٦.

وبالساعة والحشر والنشر والصراف والميزان والجنة غيبي استدلال^(١٥٣). والجانب الدلالي لهذا الوجه أن فيه تعريضا بالكفرة حيث لا يتأثرون بالإنذار ما لم يشاهدوا ما أنذروه^(١٥٤). وأرى- والله أعلم- أن القولين كلاهما صواب ومقبول. والجدول التالي يمثل بعض شواهد هذا البحث المرتبة حسب الحال المفردة والجملة وشبه الجملة بإيجاز يليه نتائج البحث.

م	الآية	حال	الاختلاف في ذي الحال	أثره في المعنى
١	﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَهُمْ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ۚ أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾﴾ (٤ سورة النساء: ٢٠)	بُهْتَنًا وَإِثْمًا	حالات من فاعل في	حال كونكم باهتين وكاذبين عليها برميها بالفاحشة، وآثمين إثما مبينا
			حالات من	أنفعلونه

١٥٣- انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ١، ص ٢٢٩-٢٣٠، وأبو زهرة محمد بن أحمد، زهرة التفاسير، ج ١، ص ١٠٣، وفخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ج ٢٢، ص ١٥١، وعمر بن علي بن عادل النعماني، اللباب في علوم الكتاب، ج ١٣، ص ٥١٦، ومحمد بن عمر، مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد، المحقق: محمد أمين الصناوي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ)، ط ١، ج ٢، ص ٥٢.

١٥٤- انظر: أبو السعود محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج ٦، ص ٧١، ومحمود بن عبد الله الألويسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج ٩، ص ٥٥، وأحمد بن إبراهيم الغرناطي، ملك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتنطيل في توجيه المشابه اللفظ من أي التنزيل، ج ٢، ص ٣٤٥.

مع قبحه حال كونه ظلمها وذنبا ظاهرا	مفعول في			
يطلب الليل النهار حاثا له	حال من فاعل يعني الليل	حَيْثَا	<p>﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْمَرْثِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثَا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾</p> <p>(٧ سورة الأعراف: ٥٤)</p>	٢
يطلب الليل النهار محثوثا	حال من مفعول يعني النهار			
إذا لقيتم الكفار حال كونكم زحفا من الزحوف، أي: جماعة وجيشا كبيرا	حال من فاعل أنتم	زَحْفًا	<p>﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُولُوهُمُ الْآدْبَارَ ﴿١٥﴾﴾</p> <p>(٨ سورة الأنفال: ١٥)</p>	٣
إذا لقيتموهم للقتال	حال من مفعول أنتم			

وهم جم كثير يمشون إليكم وأنتم قليل، فلا تفروا				
واهنة مستضعفة في حمله	حال من فاعل أم	وَهَنَّا عَلَى وَهْنٍ الْإِنْسَانِ	﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ﴿١٤﴾ ﴾ (٣١ سورة لقمان: ١٤)	٤
حال كونه ضعيفا	حال من مفعول الْإِنْسَانِ			
ولا تقصدوا المال الرديء حال كونكم تخصونه بالإنفاق	حال من فاعل وَلَسْتُمْ يعني أنتم	وَلَسْتُمْ يَاخِذِيهِ	﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَيْبَتِ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ يَأْخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ ؕ وَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦٧﴾ ﴾ (٢ سورة البقرة: ٢٦٧)	٥
لا تقصدوا الخبث منفقا منه	حال من مفعول يعني بم			

أَتَأْتُونَ الفاحشة حال كونكم مبتدئين بها	حال من فاعل جميعني أنتم	شَهْوَةٌ	﴿إِنَّكُمْ لَأَتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ﴾ ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ (٨١) (٧ سورة الأعراف: ٨١)	٦
حال كون الفاحشة مستحدثة ومبتدعة	حال من مفعول يعني حج			
مأذونا لك	ضمير الفاعل في تُخْرِجُ أَي أَنْتَ	يَاذُنِ رَبِّهِمْ	﴿لِنُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ (١٤ سورة إبراهيم: ١)	٧
مأذونا لهم	مفعول به أَي النَّاسِ			
يمسكه مع رضاه بهوان وعلى رغم أنفه	فاعل يُمسِكُهُ أَي هُوَ	عَلَى هُونٍ	﴿يَنْزِرِي مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ﴾ (١٦ سورة النحل: ٥٩)	٨
يمسكها ذليلة مهانة	ضمير المفعول في يُمسِكُهُ			
قتلته ظلما	ضمير	بَغَيْرِ نَفْسٍ	﴿أَفَنَلَّتْ نَفْسًا رَّكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾	٩

	الفاعل في قَتَلْتَ أَي أَنْتَ		(١٨ سورة الكهف: ٧٤)	
أَي: قتلته مظلوما.	مفعول به أَي نَفْسًا			
أَي: مشروطا علي	ضمير الفاعل في أَنْكَحَكَ أَي أَنَا	عَلَى أَنْ تَأْجُرْنِي	﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكَحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَّ أَنْ تَأْجُرْنِي تَمَنِّي حَجَجٌ﴾ (٢٨ سورة القصص: ٢٧)	١٠
أَي: مشروطا عليك ذلك	ضمير المفعول في أَنْكَحَكَ أَي أَنْتَ			
أَي: متلبسة بالإثم	الفاعل "الْعَرَّةُ"		﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعُرَّةُ بِالْإِثْمِ﴾ (٢ سورة البقرة: ٢٠٦)	١١
أَي: متلبسا بالإثم	الهاء المفعول في أَخَذَتْهُ	بِالْإِثْمِ		
أَي: فصلناه عالمين؛ أَي: علي علم متنا	ضمير الفاعل في فَصَلَّنَاهُ أَي نحن	عَلَى عِلْمٍ	﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَلَّنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴿٥٢﴾﴾ (٧ سورة الأعراف: ٥٢)	١٢

أي: فصلناه مشملاً على علم	ضمير المفعول في فَصَلَّنَاهُ أَي هو			
أي مستخفياً، مختلساً	حال من الفاعل			
عَلَى حِينٍ عَفَّلَهُ مِنْ أَهْلِهَا لأنهم لا يتربون في ذلك الوقت لأنه وقت القبيلة	حال من المفعول أي المدينة	عَلَى حِينٍ عَفَّلَهُ	﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ (سورة القصص: ١٥)	١٣
أي: أرسلناك محققين	ضمير الفاعل في أَرْسَلْنَاكَ أي نحن	بِالْحَقِّ	﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ (سورة فاطر: ٢٤)	١٤
أي: أرسلناك حقاً	ضمير المفعول في أَرْسَلْنَاكَ أي أنت			

<p>أي: نقصه ملتبسين به</p>	<p>ضمير الفاعل في نُقِصُ أي نحن</p>	<p>بِالْحَقِّ</p>	<p>﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ﴾ (١٨ سورة الكهف: ١٣)</p>	<p>١٥</p>
<p>أي: نقص قصصا ملتبسا بالحق</p>	<p>المفعول "نَبَأَهُمْ"</p>			
<p>أي: تشاء غير مُحَاسِبٍ لَهُ، أو غير مضيقٍ له.</p>	<p>ضمير الفاعل في تَشَاءُ أي أنتَ</p>	<p>بِغَيْرِ حِسَابٍ</p>	<p>﴿وَتَرْزُقُ مِنْ شَاءِ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (٣ سورة آل عمران: ٢٧)</p>	<p>١٦</p>
<p>أي: ترزق من تشاؤه غير محاسب.</p>	<p>المفعول المحذوف؛ أي تَشَاءُ</p>			
<p>أي: غير محاسبين</p>	<p>نائب الفاعل أي الصَّابِرُونَ</p>	<p>بِغَيْرِ حِسَابٍ</p>	<p>﴿إِنَّمَا يُوقِي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (٣٩ سورة الزمر: ١٠)</p>	<p>١٧</p>
<p>أي: موقرا</p>	<p>حال من الأجر</p>			
<p>أي: وأنا غائب عنه</p>	<p>ضمير الفاعل في</p>	<p>بِالْغَيْبِ</p>	<p>﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾</p>	<p>١٨</p>

أَخُنُّهُ أَي أنا	خَفِيَ عَنِ عَيْنِهِ		(١٢ سورة يوسف: ٥٢)	
ضمير المفعول في أَخُنُّهُ أَي هو	أَي: وهو غائب عني خَفِيَ عَنِ عيني			
ضمير الفاعل في لِيَجْزِيَ أَي هو	أَي: يجزيهم ملتبسا بالقسط		﴿ إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ ﴾ (١٠ سورة يونس : ٤)	١٩
المفعول أي الَّذِينَ	أَي: يجزيهم حال كونهم ملتبسين بالعدل	بِالْقِسْطِ		

دراسة إحصائية

